أثر التفكيك في النقد الجزائري

قراءة في مشروع بختي بن عودة التفكيكي

The Impact of Deconstruction on Algerian Criticism: A Reading of Bakhti Bin Odeh's Deconstruction Project

حنان حطاب*

تاريخ الارسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر

الملخص:

يعد التفكيك واحدا من اتجاهات ما بعد البنيوية و ما بعد الظاهراتية و ما بعد الحداثة، يقدم رؤية نقدية قائمة على كشف خبايا الخطاب النقدي الغربي المركزي، و كذا اختراق المقول الذي يتبدى من خلال علامات النص، هادفا –أي التفكيك- إلى جعل النص مسرحا مختلفا للدلالات المتصارعة و القراءات المتعددة والتأويلات اللامتناهية.

سنحاول في هذه المقالة أن نتناول تجربة الناقد بختي بن عودة مع مفاهيم التفكيك وتطبيقاتها.

الكلمات المفاتيح: التفكيكية، النقد الجزائري، بختي بن عودة

Abstract:

Deconstruction is one of the trends of post-structuralism, post-phenomenology, and post-modernism. It presents a critical vision based on revealing the secrets of the central Western critical discourse, as well as penetrating the saying that appears through the signs of the text, aiming - that is, deconstruction - to make the text a theater. Different from the conflicting connotations, multiple readings, and endless interpretations.

In this article, we will try to address the experience of the critic Bakhti Ben Odeh with the concepts of deconstruction and its applications.

***Keywords**: deconstruction, Algerian criticism, Bakhti Ben Ouda*

*** *** **

* جامعة سطيف

1. التفكيك بوصفه اختلافا:

يعد التفكيك* واحدا من اتجاهات ما بعد البنيوية و ما بعد الظاهراتية و ما بعد الحداثة، يقدم رؤية نقدية قائمة على كشف خبايا الخطاب النقدي الغربي المركزي، و كذا اختراق المقول الذي يتبدى من خلال علامات النص، هادفا –أي التفكيك- إلى جعل النص مسرحا مختلفا للدلالات المتصارعة و القراءات المتعددة والتأويلات اللامتناهية.

ذلك أن التفكيك "قراءة نص ما بصفة مركزة و مقربة جدا، إلى حد يجعل المفاهيم التي يعتمد عليها النص نفسه تتميع و تنهار نتيجة للاستعمال المتضارب و المتناقض الذي تخضع له تلك المفاتيح داخل النص ككل، و بمعنى آخر ترى من خلال هذه الطريقة أن النص يفشل و ينهار قياسا لمعاييره الذاتي، حيث تستعمل المعايير و التعاريف التي بينها النص نفسه ضد النص نفسه لتشويش التمييزات الأصلية و دحضها، و قد استعمل دريدا** هذه الطريقة ضد هاسرل و روسو و سويسر و أفلاطون و فرويد و غيرهم و لكنها قابلة و صالحة للتطبيق على أي نص مهما كان نوعه".[1]

إن التفكيك عملية تفتيت و تخريب لكل الخطابات الجاهزة القائمة وفق طقوس دلالية و رواسب قرائية تقليدية مودعة في المواثيق السابقة و المراسيم المتوارثة التي يجوز خرقها، هو دعوة صريحة لتجاوز مناطق الثبات تأسيسا لمعرفة جديدة، قوامها الانفصال عن الجذور و مقاطعة التراث و تقويض المركز.

التفكيك، إذن، دعوة لفكر اختلاف يتجاوز فكرة الإنسان الذي يمتد عبر الزمن بل "ينظر إليه على أنه كائن المحدودية ***Finitude***، ليس لأنه كائن من أجل الموت فحسب، بل إن دلالته تمتد لتطال الحياة البشرية بأكملها، فالإنسان وفق المنظور التفكيكي، كائن سندبادي، إنه كائن المنعرجات و التحولات و التبدلات، تصاحبه روح المغامرة المبحرة دائما، بحثا عما هو خفي و كشفا لما هو مجهول و عجيب إنها لعبة الاختلافات كبيان تأسيسي لهذا الفكر حيث ما يحط الرحال بأرض حتى يغادرها مغيرا وجهته".[2]

هي لعبة الاختلافات التي لا يحكمها منطق أو قانون، تسير وفق أفق المجهول المغيب/الآخر لتقيم معه علاقة، لكن "لا من أجل الطموح لمعرفته، أو من أجل تقريبه من لحظة تعرضه للعلم و الإدراك، بل من أجل تمثل مجهوليته، إنه منح الآخر، المختلف، غير الموجود هوية ما، تمكن من تأمله دونما أي فعل، و من أي نوع يمكن أن يعقب هذا التأمل".[3]

إن هذا التأسيس لثقافة و فكر الاختلاف داخل المخطط التفكيكي لهو رغبة كبرى في التمرد و الانتقام، كما يراه – عادل عبد الله- انتقام أسسه دريدا لقلب كيان الفكر الغربي لكن انتقام ممن ؟.

"من العقل، من الحضور، من الوجود، من منطق تطابق الوعي مع مقولاته و من هيغل أيضا، الأخير الذي لا يفتأ يغيب، و يحتوي بآليته الجدلية الكبرى أقصى و أبعد نقائص العقل، أشدها امتناعا عن الاحتواء، حتى أن الموت نفسه بكل صفاته العصية على الفهم و الحضور لم يسلم من حركة الاحتواء تلك (...) من هنا ثمة تمردا ما، نزاعا وجوديا حاسما، سيخوضه الآخر، ضحية العقل، حضور العقل، ضد الحضور المطلق للعقل، مستخدما في نزاعه القدري هذا أمض سلاح لديه".[4]

إنه سلاح الآخر /المختلف /الرافض /الشكاك / و المهدد لكيان العقل و حضوره المطلق، الكاسر

لسلطة التعالي الفلسفي، و المؤسس لدعائم الغيرية ***l'altérité***.

2. التفكيك في النقد العربي (تمثيل لا حصر):

رغم أن التفكيك عرف أوجه في الساحة النقدية العربية في ثمانينات القرن العشرين، إلا أن هناك أرهاصات أولى تشير –لانتقال التفكيك- و لو بشكل بسيط في عقد السبعينات، أدرجها صاحب مشروع "دريدا عربيا" في جملة من النقاط، فقد كتبت خالدة سعيد عن بدر شاكر السياب بمناسبة صدور أعماله الشعرية الكاملة، "أنه لم يتخلص من سلطان ذاكرته، و لم يبلغ ما يمسيه جاك دريدا "قلق اللغة"، هذا القلق الذي يهز البنية الداخلية أو البنية التحتية للغة و منطقها الخاص (...) كما تحدثت بعض المجلات العربية عن دريدا و نصوصه، مثل مجلة الطريق البيروتية، و مجلة الثقافة الجديدة المغربية، كما ترجع الاشارات الأولى لأدونيس الذي ربط نشوء ثقافة جديدة بنقد الموروث و تفكيكه، فيما التمس البعض تأثر كمال أو ديب بالتفكيك من خلال دراسته (الحداثة، السلطة، النص) المنشورة في مجلة فصول".[5]

أما في عقد الثمانينات و ما تلاه، فأخذت حركة الانتقال دينامية أبعد، فراجت النصوص التفكيكية، و عرفت مبادئها طرق أوسع للقارئ العربي و قد برز هذا بشكل كبير مع عبد الله الغذامي و عبد الكبير الخطيبي و آخرون، فقد تحدث (عبد الغذامي) عن تشريحيته كمقابل للتفكيك، رغم ابتعادها عن المنظور الدريدي، و أقر أن تفكيك "دريدا" بعيد عن الدرس الأدبي لانبنائه على نقض مطلق العمل، فيما تعمد تشريحيته لإعادة البناء بعد الهدم، و لم يقتصر الغذامي على هذا بل إن منهجه الجديد في مقاربة النصوص جمع بين ثلاثة مسارات نقدية (البنيوية، السيميائية، التشريحية) و هو لا يجد حرجا في الإقرار بتميزه و ميله لبارت فيقول "و لقد أميل على نهج بارت التشريحي، لأنه يشغل نفسه بمنطق النص، (و هو شيء لا يعني الدارس الأدبي بحال)، و لأنه يعمد إلى تشريح النص لا لنقضه و لكن لبنائه و هذا هدف يسمو بصاحبه إلى درجة محبة النص و التداخل معه بكل تأكيد".[6]

يتضح إذن، أن قراءة الغذامي، لا تجعل النقض/الهدم غاية في حد ذاته، إنما وسيلة تهدف لبناء النص في وحدة كلية، و جسد نصي واحد يسعى لتفكيك جزئياته من أجل إعادة بنائها و تركيبها من جديد، و قد عد كتاب الغذامي "الخطيئة و التفكير من البنيوية إلى التشريحية أول و أهم محاولة عربية تطرح القضايا الجمالية للنص، و تعلن انتماءها للقراءة التفكيكية و إن اختلفت معها الوسائل.

و في مقابل هذا يتواجد (علي حرب) الذي يعد من أكثر الباحثين و القراء التفكيكيين العرب، فهو يقدم نفسه على أنه قارئ يشتغل على النصوص مساءلة و استنطاقا و حفرا و تنقيبا و تحليلا و تفكيكا، و التفكيك عنده يعني الحفر في المنسي والنبش في المكبوت لكشف تضليله و خداعه، و كشف ما يمارسه النص من طقوس الحجب و حيل المراوغة، و قد تحدث علي حرب عن ضرورة الاختلاف و المغايرة، ما يجعله يروم مقاربة النصوص على مساءلة "الهوية و الاحتفاء بفضاءات التعدد و التحالف، و التجاوز و التعايش، و الانفتاح المتراسل"[7]، و ضرورة وضع استراتيجية للتعامل مع التفكيك الذي ينطلق من مبدأ الفضح و الكشف من أجل خلخلة بنى النص و كشف ألاعيبه و حيله، و فضح مناطق التخفي/الغياب، كما أشار إلى أن تبني التفكيك ليس نقمة و لا خروجا عن النمط المألوف و لا يمكن اعتباره هكذا إلا عند حراس العقائد و محاكم التفتيش الإبداعية، و المدافعين عن

امبريالية المعنى و دكتاتورية الحقيقة ،الذين يخشون المهمة الحقيقية للتفكيك و هي فضح المستور و الكشف عن المحجوب.

كما تطرق في كتابه "هكذا أقرأ ما بعد التفكيك" لنصوص عدد من الكتاب أمثال: سعد الله ونوس، أبو يعرب المرزوقي، محمد شحرور، عبد الكريم سروش، عبد العزيز حمودة، ، نصر حامد أبو زيد، جان بودريار، مايكل هاردت، نعوم تشومسيكي... إضافة إلى بعض أطروحات ابن خلدون، ابن رشد، نيتشه و أفكارهم... و قد تحدث فيه عن القراءة التفكيكية التي تخترق الإجراءات المنهجية و الأسيقة البنائية للنص 'فالنص متعدد المعنى ملتبس الدلالة كثيف المفهوم، متواتر الوجهة، اشكالي القضية و الأطروحة فهو يحتمل غير قراءة بقدر ما يختزن ما لا يتناهى من القراءات التي تراكمت وتفاعلت في ذهن مؤلفه، لكي تسهم في تشكيله و ظهوره".[8]

و بهذا يسعى إلى تبرير الدلالات الملحقة للنص، دون الاستناد إلى الأسانيد النصية أو الإحالات السياقية أو إلى بنية الأفق الفكري و الجمالي للمؤلف الأمبريقي، بل انفتاح لا متناهي للنص يستلزم تعدد القراءات و التأويلات هكذا تحدث "حرب" عن التباس الدلالة و اشتباكها، فمأزقية المعاني كامنة ليس في كثافتها و حسب، بل في توترها و تنقلها بين الحضور و الغياب بين الامتلاء و الفراغ، بين التذكر و النسيان، "فالمعنى يفيض بقدر ما يستعصي على الضد، دلالة على النسيان، نسيان الوجود على المستوى الأنطولوجي، يجعل العلم بالشيء مباينا دوما لوجوده".[9]

و حسب ما تقدم فإن كل هذه الدلالات و المقولات عند علي حرب هي محصلة الاتجاه التفكيكي و مبدأ الاختلاف القائم على الحضور و الغياب إذ تنطلق كتاباته، " باعتبارها مقاربات ما بعد حداثية المعين، من فضاء معرفي يتشكك في كفاءة النسق، ولا يقتنع بانغلاق البنية، و يتيح للنقد أن يستنطق و يكشف ما شاء له الاستنطاق و الكشف، لا يروم بذلك تأسيس مشروع و لا إنجاز رؤية متكاملة، و إنما هو نقد للنقد مستمر، و اشتغال على انزياحات اللغة متواتر".[10]

كما يعتبر حرب التفكيك أكثر من مجرد أسلوب للتفلسف، و أكبر من أن ينحصر في مجموعة آليات إجرائية، إنه بحث عن الهامش/الغياب و قراءة إبداعية تبحث في اللامفكر فيه و ما يمتنع على التفكير، في ظل العقلانيات المسيطرة.

إن التفكيك الذي يرتضيه حرب هو بحث في حقل البداهات العقلية التي باتت بدوغمائيتها، و أحاديتها و مركزيتها عاجزة عن قراءة ما يحدث، و مهمته الأساسية هي تعرية البنى العميقة و محاولة تفكيكها، لأنها تعيق التفكير و تشل الإبداع، و تعثر الوصول إلى الحقيقة.

كذلك تتضح معالم الهوية العربية لتبنى الطرح الدريدي مع (عبد الله إبراهيم) بقوة من أجل نقض فكرة المماثلة مع الاخر الغربي المتمركز حول ذاته و الآخر العربي المنكفئ على نفسه و الغارق في مجده الغابر، هذه المعادلة بين الأنا و الآخر مثلت مادة دسمة لعبد الله ابراهيم كي يسلط عليها الطرح التفكيكي و يهدم نسيجها الداخلي و يكشف عن بؤر التمركز فيها ما يستدعي حسب الناقد الدخول في حوار متكافئ يحول ثقافة الآخر من مكون هيمنة/مركزية/سلبية إلى مكون فاعل/إيجابي، و يحول الشعور العربي من الدونية/الاستصغار/ إلى الثقة في امكاناته و هذا لن يتأتى إلا بعد التخلص من عقدة التماثل و التبعية التي تعيق تطورها و تحد من فعاليتها، "كما بين أن الآخر يعمم مشروعه و

نموذجه الهادف إل تدمير خصوصية الكائنات الحضارية، و مسخ هويتها، فليس شعار عالمية الغرب كما يذكر عبد الله ابراهيم إلا دعوة للانزلاق نحو استبداد يفرض على الثقافات الأخرى، أو يدفعها إليه".[11]

إذا كانت هذه بعض النماذج العربية التي تأثرت بالتفكيك فكيف كان تأثير هذا الأخير في الساحة النقدية الجزائري، و هل يمكن تلمس مشروع نقدي جدي حول التفكيك في ظل الصراعات الايديولوجية و النزاعات السياسية التي لازمت ظهور التفكيك في الدرس النقدي ؟

هل يمكن الحديث عن نقد جزائري أو ناقد جزائري أم أنها مجرد بقايا رؤى و أحكام ؟.

3 .التفكيك في النقد الجزائري تفكيكية بختي* بين لذة التوق و وجع البلوغ:

أ_ التفكيك / الحداثة / الاختلاف:

"إن المثقف الجذري، يحمله اختلافه الجذري و سؤاله المعرفي المدمر، لا يملك جواز سفر، قد يجد نفسه يشتغل في حقل أو بستان... و قد يقتل"

كلمات رددها الباحث الجزائري (بختي بن عودة) (1961-1995)، الذي رغم حياته القصيرة إلا أنه أثار اهتماما متزايدا بدريدا و تفكيكه، حيث مثلت أفكار المساءلة و المغايرة محطة جذب و تأثير لكل فلاسفة الاختلاف، "و جاك دريدا – يقول بختي- هو الاسم الذي اخترناه لنتمرن على المطالبة بالحق في الاختلاف و في تفكيره"[12] القائم على خلخلة بنية النسق الفلسفي، و هز المركزية الغربية و التأسيس لنص و فكر الاختلاف ضمن لعبة تمويهية، و فوضى دلالية، قد يتساءل البعض عن جدوى الخوض فيها ليجد الإجابة عند بختي بن عودة: "إن قراءة نصوص دريدا، و إعادة قراءتها، تجد مبررا لها في أنه يود الاستغراق في التفكير للاقتراب من ممارسة الاختراق المميت لانفتاحيه دريدا النصية، أو كما يقول الباحث المغربي نور الدين الزاهي: لكي استحق موتي بين الموتى".[13]

ما يجعل التفكيك يؤسس للاختلاف، و يبحث عن الخطاب الهامش في مقابل المركز، العدم في مقابل الوجود، و الخاص في مقابل الكوني...يعمل كما يرى بن عودة "على تحريك الاختلاف داخل الاستعمالات الممكنة، بوساطة كتابة تختزل داخلها سلسلة من المفاهيم لا متناهية الاختلاف، كتابة تحيط نفسها و تلفها بكومة من الحذر و الاحالات و الهوامش و الاستشهاد و التوليفات و الملحقات".[14]

تأثر بختي بفيلسوف الغيرية أشد التأثر، و وجد في كتاباته فرصة لإعلان ثورته على العدمية و النكوص، و الرغبة في خلخلة المتفق عليه و استنطاق اللغة، "و تدمير كل الدلالات التي تجد مصدرها في دلالة اللوغوس و تفكيكها، و تذويب رواسبها المتعاقبة".[15]

فكان مؤمنا بهذه الاختلافية و بطرح دريدا التفكيكي محاولا تقديمه بوصفه المثقف الجزائري المنسي، تأثر به إلى أن "سكنه هاجس التفكيك في وعيه و في جنونه، في أحلامه و في يقظته فالتفكيك عنده ليس منهجا و ليس معرفة، إنه دليل على علامة دالة هي الاختلاف، و الاختلاف مدخل إلى الحداثة، و الحداثة بمعنى من المعاني ثورة على الجاهز/النمطي.."[16] ، هذا الاختلاف الذي يعني ضربا من ضروب الانقلاب الكلي، إنه الغياب/الآخر الذي يطرحه دريدا بديلا عن الحضور و عن كل المسلمات الميتافيزيقية و القواعد و الخروج من عتمة التخلف و التراجع التي آن أوان اقتلاعها من أجل التأسيس لحداثة جزائرية تتجاوز سوداوية الواقع الاجتماعي و السياسي، ذلك أن بختي حدد

مفاصل الهيكل العام لمشروعه الاختلافي/الثوري، و ضبط شبكته المفاهيمية: الثورة/الاختلاف/التفكيك/الحداثة..

"حاول جهده تخليص الخطاب الفكري الجزائري من لعبة التقاطع اللغوي و الالغاء الثقافي التي كثيرا ما أصابت هذا الأخير بالعقم، و أخرت مسار التقدم لديه"، مبررا في الآن نفسه غياب وعي جزائري لمفهوم التقدم لديه"[17]، مبررا في الآن نفسه غياب وعي جزائري لمفهوم الحداثة التي ما زال ينظر إليها بوصفها هاجسا بسيطا يستهان به.

ربما تبدو مقاربة الحداثة صناعة لغوية أو شطحة تشبه صوفية و لكنها بين هذا و ذاك —يقول بن عودة- تثير معنى الحس التاريخي و حتمية الدخول في لحظة وجودية و كونية مغايرة"[18]، تشترط التفاعل الفكري مع الآخر/الغرب من أجل خلق أطر جادة و حيوية...فسؤال الحداثة هو سؤال الاختلاف الذي يشترط التفكير ضمن أفق أوسع يخترق كل الحدود.

لقد آمن بختي بأطروحات الحداثة لأنه وجد فيها المخرج الوحيد من الركود الثقافي في الجزائر، رفض التراجع و التخاذل، و عبر عن سخطه من كل الأصوات البائسة التي حاولت اغتيال صوت المثقف بلغة انهزامية مفادها أن الجسم الجزائري مريض في ثقافته "و في امكاناته التعبيرية كعلائق بالتراث و العصر و الآخر، و كانت الترجمة الفعلية لذلك هي الارتماء في حضن العمى المؤطر للإثني أو اللاهوتي و ما بينهما شكوك و قذائف، كما لو أن الجسم انشطر إلى أطراف لها جنون الأرض تارة و غواية السماء تارة أخرى".[19]

لكن بختي لم ينظر للحداثة إلا بوصفها تجاوزا، فهي تمنحنا القوة لتجاوز عقدة الذنب و وسواس المرض و عقدة العجز و القصور، هي بداية لحظة جديدة لحظة التغيير أين تقلب كل المعادلات، و تنقلب الأدوار، و تتخلخل المراكز... و هذا من صميم فلسفة التفكيك و الاختلاف.

ب ـــ بختي / دريدا/ الخطيبي: في إطار ممارسة بختي لاختلافيته، يواصل مساءلته القلقة حول فيلسوف التجاوز الذي "يأخذ من الفلسفة حصيلة عمليات فهم متراكبة، ليحاور أعمالا أديبة، و يقترح طريقة في التحليل تجعله على مقربة مهمة الناقد دون أن يكون لذلك تأثير من النوع المريب على وضعيته كفيلسوف".[20]

دريدا الذي شكل محورا أساسيا في كتابات بختي و أفكاره و الذي يتحدث عنه بوصفه المثقف الجزائري المنسي.

"ماذا يعني إذن، اسم مثل جاك دريدا على الأقل بالنسبة إلى قارئ قادم من مدار أبي تمام أو الشابي"[21]، يتساءل بختي.

لتكون اجابته تأكيدا على أن دريدا بمثابة منقذ من التيه و الغرق، بل هو بوصلة معرفية تتيح للقارئ الخوض في المسكوت عنه، و الكشف عن المغيب، و كأن بختي بذاك اختاره عرابا لفلسفة التجاوز و الاختلاف ،فهو "يمنحنا كقراء عرب أدوات حداثية بقدر ما لا تشير إلى الحداثة بشكل ملفت، أدوات تتحاشى الارتهان، أن تكون رهينة لحظة أو غزو أو إلغاء(...) لعل دريدا يعلمنا كيف نتسلل إلى الثغرات من خلال أمتعه معرفية نقدية تفكيكية، أن ننسى ذواتنا إلى حين.. أن نؤجل الحديث عن وحدة ترعاها السماء، أن نستحق طرفا في الفكر القابل للسكنى إنه فكر كذلك، متى نحمل المصابيح".[22]

هكذا نظر بختي لرائد التفكيك، و عمل على استنطاق نصوصه متأثرا بنقده للمركزية الغربية أي تقويض التمركز العقلي من جهة و الثورة على الميتافيزيقا من جهة أخرى، حيث عمل دريدا على فحص و نقد الخطاب الغربي، و الكشف عن تعالي

الإرث الفلسفي و النبش في أنساقه الخفية و تفكيك كل مراكز الدلالة و بؤر الميتافيزيقا، و هي الدعاوى التي وجدت صداها لدى الناقد المغربي عبد الكبير الخطيبي، الذي أعد حوله بختي بن عودة رسالة ماجستير (ظاهرة الكتابة في النقد الجديد مقاربة تأويلية، الخطيبي نموذجا) للوقوف عند نمطه الكتابي و تفكيره الاختلافي ذو الأصداء الدريدية حيث اعتبره وجها من وجوه التفكيك "رغم أن الاختلاف الدريدي، اختلاف ذو أسبقية على الوجود، و أنه معدوم الحنين إلى الميتافيزيقا أما الاختلاف عند الخطيبي فهو "ملطف" لا يتصادم مع الدين بالضرورة، لأنه يعثر على مكانته الاستراتيجية في تقليص المفهومية الميتافيزيقية"[23] في شقيها الغربي اليوناني و الغربي.

و تكريسا لمبدأ الاختلاف عند "الخطيبي" و إيمانا منه بضرورة كسر الحدود الفاصلة بين الأجناس الأدبية، برزت كتبه "النقد المزدوج" و الاسم العربي "و غيرها لتكون "فسحة اختبارية مهمة، سمحت بتدفق بعض مذخورات التفكيك إلى الحقول العربية عبر لعبة مفتوحة على انفتاح الحدود بين الأجناس و خلخلة المعابر في انتقال المعنى، لعبة قوتها كامنة في اشكالية العلاقة بين المعرفي و الجمالي ضمن النسيج الكتابي متعدد الطبقات"[24] ذلك أن الخطيبي أدرك أن الكتابة فعالية ابداعية و نمط تواصلي يقوم على التعدد ية و الاختلاف لذلك جاءت كتاباته شبيهة "بالسفر اللا متوقف من محطة إلى أخرى، من نص إلى آخر من المتخيل إلى الفكر إلى الوهم، إنه السفر الذي يجد في الكتابة كل أنواع اللقاءات لأن السفر كان دائما لقاء، سواء مع المعلوم أو مع المجهول ،الكتابة مع الخطيبي مجموعة لقاءات تخلقها فجأة اللحظة و تفجيرات الجسد"[25].و هي الكتابة التي استفزت بن عودة، كتابة تتجاوز معناها اللساني الظاهراتي لتكون "ذلك الوجود الفاعل للوعي من خلال تجربة ابداعية نقدية لها شرائطها السوسيو-ثقافية".[26]

كتابة جديدة، تمثل لحظة الإبداع القصوى التي تهرب من كل القيود و تتملص من المألوف...كتابة / مهاجرة / مساءلة / محرضة "فعالة لما تريد...فريدة فرادة النطفة الكتابية التي تودعها في الجسد المكتوب و لذا كانت في تجليها فرقا و اختلافا و نتوءا و مباينة كما كانت على الدوام هجرة و ارتحالا و سؤالا لا يكاد يستقر حتى يلد سؤالا آخر..."[27].

و بهذا كان الخطيبي أهم مفكري الاختلاف في الفكر المعاصر، و من أوائل الذين استخدموا التفكيك وسيلة للتعامل مع كثير من المشكلات المهمشة و الطابوهات الفكرية التي تدخل في إطار اللامقول و اللامفكر فيه سعيا لتأسيس ثقافة المساءلة و فكر الاختلاف و من هنا دعا إلى إعادة النظر في الأشياء، و تحكيمها لمبدأ المغايرة و الاختلاف، نحو نقد التراث من جهة و تفكيك الميتافيزيقا من جهة أخرى، ليتولد عنده نص الاختلاف "نص عصي على التصنيف و الجدولة، متموقع بين ليل الكتابة و نور المفهوم نص يزوبع ما قبله و ما بعده، حين ندقق النظر فيه بالاستناد إلى خارج ما، إلى حركة فكرية مضاعفة في السلالة الفلسفية"[28] نص اختلافي استفز بن عودة و جعله يمارس "كتابة مرئية" على كل من دريدا و الخطيبي محاولا استكناه تفكيكية كل منهما، ليخلق كتابة جديدة تؤمن بالحوار و التعددية و التفتح، الكتابة الحلم التي تجسد "جدل المنغلق و المنفتح، المرئي و اللامرئي، السلفي و الحداثي، نمط من الضرب (النوعي) المربك و المقاوم، نمط يقيم جسورا جديدة للتلاقي بين المشرقي و المغربي (...) و يخلخل أركان التقسيمات الوهمية بين التاريخ و

الفلسفة و السياسة و الأدب و السينما و غيرها من المعارف النظرية'[29] ليعلن عن تداخل الأجناس والآداب والفنون ويعلن أن الادب لا دين و لا جنس و لا وطن له.

كتابة تتمرد على حياة بختي القصيرة، لتبرز فيها نمط كتابيا جديدا و اختلافية لا يمكن انكارها، كتابة أرادت الثورة على الراهن / المألوف / النمطي/ الجاهز / الأبوي... كتابة في الممنوع / اللا مقول/ اللا مفكر فيه كتابة أبت إلا التحدي...لكنها ولدت و هي في ريعان الشباب لتترك لنا أثرا موجعا و سؤالا مقلقا.. ماذا لو لم تمت يا بن عودة سؤال يتراوح بين لذة التوق و وجه البلوغ.

الإحالات:

*التفكيك: هو مسار مختلف في الساحة النقدية، لا يعد نقدا أو تحليلا أو منهجا أو طريقة، كما لا يعد مجموعة من الإجراءات النصانية، بل هو استراتيجية قرائية تتجاوز النموذج اللغوي و النحوي و السيميائي العلاماتي هو دعوة صريحة لتفكيك الموروث العربي و تقويض التمركز حول العقل (le logo-centrisme) و تقويض سلطة الصوت و ميتافيزيقا الحضور (La présence) و هو تأسيس لفكرة التجاوز و العبور و الانفصال عن الأصل/الهوية/التراث/الحقيقة.

** دريدا جاك (1930-2004) مفكر وناقد فرنسي، اسمه الحقيقي جاكي دريدا ولد في 15 جويلية بالأبيار قرب مدينة الجزائر، نقد الفلسفة الغربية المرتبطة بميادين الأدب و اللغويات و التحليل النفسي، من كتبه: (الصوت و الظاهرة)، (علم الكتابة)، (هوامش الفلسفة)، (جلاس) (حقيقة في صورة)، (اختراعات الروح) (اختراعات أخرى) (الكتابة و الاختلاف) (صيدلية أفلاطون) (أطياف ماركس: دولة الدين، رفع الحداد، و الدولة الجديدة، و توفي دريدا عام 2004.

[1] مادان ساروب، دليل تمهيدي إلى ما بعد البنيوية و ما بعد الحداثة، ترجمة خميسي بوغرارة، منشورات مخبر الترجمة و الأدب و اللسانيات، قسنطينة، الجزائر، د ط، 2003، ص ص 50-51.

[2] عبد الغني بارة، الهرمينوطيقا و الفلسفة (نحو مشروع عقل تأويلي)، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر، ط1، 2008، ص ص40-41.

[3] عادل عبد الله، التفكيكية (إرادة الاختلاف و سلطة العقل)، دار الكلمة، دار الحصاد، دمشق، ط1، 2000، ص ص 16-17.

[4] المرجع نفسه، ص 17.

[5] ينظر: محمد أحمد البنكي: دريدا عربيا، قراءة التفكيك في الفكر النقدي العربي، المؤسسة العربية للدراسات، البحرين/بيروت، ط 1، 2005، ص ص104-109.

[6] عبد الغذامي: الخطيئة و التكفير، النادي الأدبي الثقافي، جدة، د ط، 1985/ ص 54.

[7] علي حرب: الممنوع و الممتنع، نقد الذات المفكرة، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، ط1، 2000، ص 10.

[8] علي حرب: هكذا أقرأ ما بعد التفكيك، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط1، 2005، ث 23.

[9] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[10] محمد أحمد البنكي: دريدا عربيا، ص 347.

[11] ينظر عبد الله ابراهيم: المركزية الغربية. اشكالية التكون و التمركز حول الذات، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2005، ص ص 6-36.

* بختي بن عودة (1961-1995) باحث جزائري من مدينة وهران اشتغل في مجال افكر و الفلسفة و النقد الأدبي و الصحافة، سقط برصاص الارهاب في 22 ماي 1995 عن عمر يناهز 34 سنة.
هو كاتب و نافذ و شاعر و استاذ جامعي كتب في عديد المجالات المتخصصة و الملاحق الثقافية داخل الجزائر و خارجها و تميز بفلسفته و لغته المتعمقة و وعيه النقدي.
كتب أطروحة ماجستير حول الكتابة النقدية عند عبد الكبير الخطيبي، و اضطلع منصب رئيس تحرير مجلة التبين التي كانت تصدرها جمعية الجاحظية صدر له بعد وفاته كتاب "رنين الحداثة" 1999، من دار الاختلاف، كما صدرت رسالته الجامعية سنوات بعد اغتياله، و حملة من الدراسات و المقالات و القصائد في دوريات مختلفة.

[12] بختي بن عودة: موقع لمقاربة اختلاف جاك دريدا، مجلة كتابات معاصرة، لبنان، مج 4، ع 15، سبتمبر 1992، ص 35.

[13] عمد مهيبل من النسق إلى الذات (قراءة في الفكر الغربي المعاصر) منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2001، ص 83.

[14] المرجع نسفه، ص 85.

[15] جاك دريدا، الكتابة و الاختلاف، ترجمة كاظم جهاد، دارتوبوقال، الدار البيضاء، د ط، 1998، ص ص 111-112.

[16] عمر مهيبل: من النسق إلى الذات، ص 88.

[17] ينظر عمر مهيبل: من النسق إلى الذات، ص ص 82-83 محمد أحمد البنكي، دريدا عربيا، ص 343.

[18] بختي بن عودة : رنين الحداثة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1999، ص 103.

[19] المرجع نفسه، ص ص 74-75.

[20] كريستو فرونريس: التفكيكية النظرية و التطبيق، ترجمة رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار، سوريا، ط1، 1992، ص 25.

[21] بختي بن عودة: موقع لمقاربة اختلاف جاك دريدا، ص 34.

[22] المرجع نفسه، ص 39.

[23] بختي بن عودة، ظاهرة الكتابة في النقد الجديد (مقاربة تأويلية) الخطيبي نموذجا، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 1994، ص 116 للاطلاع أكثر ينظر: عبد الكبير الخطيبي، النقد المزدوج، ص ص 163-164.

[24] المرجع نفسه، ص 183.

[25] المرجع نفسه، ص 179.

[26] بختي بن عودة، رنين الحداثة، ص 62.

[27] منذر عياشي: الكتابة الثانية و فاتحة المتعة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1998، ص 22.

[28] بختي بن عودة: ظاهرة الكتابة في النقد الجديد، ص 179.

[29] عمر مهيبل، من النسق إلى الذات، ص 82.

قائمة المراجع:

1. ابراهيم عبد الله: المركزية الغربية إشكالية التكون و التمركز حول الذات، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 2005.
2. بارة عبد الغني: الهرمينوطيقا و الفلسفة (نحو مشروع عقل تأويلي)، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت / الجزائر، ط1، 2008.
3. البنكي محمد أحمد، دريدا عربيا، قراءة التفكيك في الفكر النقدي العربي، المؤسسة العربية للدراسات، البحرين/بيروت، ط1، 2005.
4. بن عودة بختي:
   - ظاهرة الكتابة في النقد الجديد، مقاربة تأويلية (الخطيبي نموذجا)، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 1994.
   - رنين الحداثة: منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1999.
   - موقع لمقاربة اختلاف جاك دريدا (مقالة)، مجلة كتابات معاصرة، لبنان، مج4، ع15، سبتمبر 1992.
5. حرب علي:
   - الممنوع و المتميع، نقد الذات المفكرة، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، ط1، 2000.
   - هكذا أقرأ ما بعد التفكيك، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 1998.
6. دريدا جاك: الكتابة و الاختلاف، ترجمة كاظم جهاد، دار توبوقال، الدار البيضاء، د ط، 1998.
7. شاروب مادان: دليل تمهيدي على ما بعد البنيوية و ام بعد الحداثة، ترجمة: يوسف بوعزارة، منشورات مخبر الترجمة في الأدب و اللسانيات، قسنطينة/الجزائر، د ط، 2003.
8. عبد الله عادل: التفكيكية إرادة الاختلاف و سلطة العقل، دار الكلمة، دار الحصاد، دمشق، ط 1، 2000.
9. عياشي منذر: الكتابة الثانية و فاتحة المتعة، المركز الثقافي الغربي، الدار البيضاء/بيروت، ط 1، 1998.
10. الغذامي عبد الله: الخطيئة و التفكير، النادي الأدبي الثقافي، جدة، د ط، 1985.
11. مهيبل عمر: من النسق إلى الذات، (قراءة في الفكر الغربي المعاصر)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2001.
12. نوريس كريستوفر، التفكيكية النظرية والتطبيق، ترجمة رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار، سوريا، ط1، 1992.